الادراك والات العقل والسمع والبصر يوردان على العقل الاراده والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض فيستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع العبد بالله وبصره بالله كان محفوظا في الات ادراكه وكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في بطشه ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا كان ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد يقع بغير الاختيار فجاه وكذلك حركة اليد والرجل التي لابد للعبد منها فكيف بحركة اللسان التي لا تقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها وايضا فانفعال اللسان عن القلب اتم من انفعال سائر الجوارح فانه ترجمانه ورسوله وتامل كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقا لكونه مع عبده وكون عبده به في ادراكاته سمعه وبصره وحركاته بيده ورجله وتامل كيف قال بي يسمع وبي يبصر ولم يقل ولي يسمع ولي يبصر ولي يمشي ولي يبطش وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذ هي ادل على الغاية ووقوع هذه الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست الباء هاهنا لمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي بمعونة الله لهم وانما الباء هاهنا للمصاحبة اي انما يسمع وبي يبصر ويبطش وبي يمشي وانا صاحبه ومعه وكقوله في الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى لا تحزن ان الله معنا وقوله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى ان الله لمع المحسنين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهرون انني معكما اسمع وارى فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام ولا يتاتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والاحزان فلا هم

مع الله

مع الله ولا غم ولا حزن الا حيث يفوته معنى هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب ويتقلب حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج منها الا وهو يريد ان يعيده اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في كل منبت شعرة من العبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبده

شعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

فصل ثم التتيم وهو اخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل قد ذللته الاقدام فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد ومقاماته هي العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله اكرم الخلق عليه واحبهم اليه وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في اشرف مقاماته وهو مقام الدعوة اليه والتحدي بالنبوة ومقام الاسرى فقال سبحانه وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله وفي حديث الشفاعة اذهبوا الى محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فنال الكمال بعبوديته

مقام الشفاعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)